الخشخاش

وهو نبات الأفيون

للدكتور عبد الرزاق

الخشخاش نبات عشبي جميل المنظر ، من فصيلة الخشخاشيات ، يقتطفه محبو ذراع ويشاهد بكثرة في الحقول فيكسبها بهجة ورواء . وأنواعه كثيرة (١٥ الى ٢٠ نوعاً) منها برية وأخرى تزرع لأزهارها ، ومنها ايضاً النوع المعروف الذي تستخلص منه المادة المعروفة بالأفيون وهو هل انواعه يعطي ازهاراً بيضاء أو بنفسجية اللون وتجتمع بشكل باقات .

ولهذا النبات رائحة كريهة تقزز النفس وتسبب التيء ، وطعم مر حاد والمستعمل منه في الطب انما هو الخشخاش الأبيض وحده الذي تحتوي رؤوسه المثمرة على الأفيون المعروف بخواصه المخدرة المنومة ، وعلى الخصوص الأنواع المزروعة منها في الشرق لأنها تكون أشد مفعولا من التي تزرع في بعض مناطق اوربا

وكيفية الحصول على الأفيون وهو العنصر الفعال في الخشخاش هو أن تؤخذ رؤوس هذا النبات قبل نضجها وبشرط جدارها بسكين خطوطاً مائلة وقت المساء . فتسيل منها بيضاء عصارة تجمع في الصباح ، وهذه تكون تشكل قطيرات ثخينة لزجة محببة اذا جفت غدت على هيئة صموغ قاتم بني اللون . وهذه العصارة التي يتركب منها الأفيون مع المشتقات الأخرى بنسب مختلفة ، والمورفين أهمها وهو يوجد بنسبة تتراوح بين ٣-٢٣ ٪ والكودايين بنسبة ٣ ، ٠-٢ ٪ ، والتيبايين بنسبة ٢ر٠-١ ٪ والپاپافرين بنسبة ٨ر٠-١ ٪ ، والناركوتين بنسبة ٥٧ر٠-٩ ٪ ...وكلها عناصر شديدة المفعول وخطرة اذا اسيء استعمالها .

والحقيقي المعروف مزيج من مقدار قليل من المورفين من الخلاصة المستخرجة من جذور وأوراق وأزهار القنب ، وهو كذلك سم خطر ويستعمله أهل الشرق بنوع خاص للنشوة والسعادة الوقتية الموهمة . ولكن سرعان ما تزول هذه النشوة

المؤنثة ويعقبها هبوط وانحطاط وضيق وشعور بالهموم فيلجأ البائس الذي يتعاطاه الى تناول كمية اكثر منه ليخفف من ضيقه وكربته ، فتزداد الحالة سوءاً وتنحط قواه العقلية والجسدية ، فلا مفر من أن تؤدي الى الخزل والارق والارتباك في عملية الهضم والانحطاط المستمر في القوى والموت العاجل ، اذا لم يعمل على تدارك هذه الحالة قبل فوات الوقت .

والخواص الطبية للخشخاش هو منوّم ومسكن ومخدر من الداخل والخارج . وينتفع الطب من أوراق أزهاره المغلية مع ازهار اخرى : كدواء مسكن للنزلات الصدرية ، والسعال الديكي ومغص البطن عند الاولاد ، وكقابض أو قاطع للنزف . اما مفعول مسكن بنوع خاص في حالات الارق وفي الاوجاع العصبية ، ومغص الكبد والكلى والمغص المسبب عن التسمم بأملاح الرصاص ، وكذلك داء الربو وانتفاخ الرئة .

والمورفين ، وهو المادة الفعالة في الخشخاش كما قلنا ، يستعمل تقريباً بنجاح في جميع حالات الاسهال ، وهو يهدىء السعال ، ويخفف افرازات الشعب الرئوية في الالتهابات الحادة ، ومسكن نافع جداً في امراض المعدة ، كالالم الذي يحدث فيها وصعوبة الهضم والقرحة .

ويستعمل المورفين كذلك بنجاح في بعض امراض القلب وفي الامراض العقلية لمكافحة الالم والانحطاط العام ، وكذلك في الحالات التي يخشى فيها حدوث الاجهاض ، وفي النفث الدموي . ولا بدّ من التحذير هنا إلى أن الاولاد شديدو الحساسية لمفعول الأفيون ومشتقاته ، ولذا يجب الانتباه في حالة اعطائهم اياه ، وعلى الخصوص عند الرضع . فنقطة واحدة من اللودانوم مثلاً ، إذا أُخذت مرة واحدة ، قد تكون كافية لاحداث الوفاة عند الرضيع . فالمستحضرات الطبية التي تدخل فيها مركبات الأفيون يجب إذاً أن يضاف إليها دائماً كمية كبيرة من السائل عند اعطائها للاطفال .

ومما يذكر في هذا الصدد أن القدماء قلما كانوا يأكلون بزور الخشخاش لمساعدة على النوم ، أو يمضغون الرؤوس التي تترك منها الثمار ويضعون المسحوق على الجبهة لتسكين الصداع أو وجع الرأس ، غير ان هذه العادة قد بطلت الآن تقريباً ، ولا تستعمل إلا العصارة التي تستخلص من النباتات وهي الأفيون تسكيناً للألم أو لازالته .

وأجود أنواع الأفيون في التجارة هو الذي يأتي عالياً من أزمير أو اسكندرون ، ولذلك يسمى « أفيون الاناضول » ونسبة المورفين فيه كبيرة جداً (١٢ — ١٨ ٪) ولا يقل عنه جودة الأفيون الذي يصدره ليران والهند . والنظر لاحتوائه هذه المادة على قلويدات كثيرة ، فيفضل فصل كل منها على حدة واستعماله في بعض حالات مرضية معينة بدلاً من استعمال الأفيون نفسه لئلا يعتاده المريض مع الزمن .

وقد أصبح تعاطي الأفيون مع الأسف شائع الاستعمال عالمياً في أكثر أنحاء المعمورة، ولا سيما في الشرق الأقصى. وقد انتقلت عادة استعماله من الشرق إلى الغرب بسبب مهاجرة بعض الهنود والصينيين ومعاشرتهم الأوربيين والأميركيين في المقاهي والمحال العامة. فهم وهم الصينيون، يأخذون قطعة من الأفيون على طرف إبرة ويمرّضونها لحرارة المصباح لتلين، ثم يضعونها في جوف بصلة المزمار، وهو حجر منقوب كحجر الشيشة وله أنبوب طويل، فيدخن الصيني من هذا الجهاز وهو مستلق على ظهره. وقد يستهلك في الجلسة الواحدة من ٢٠ إلى ٣٠ نقطة من الأفيون. والصينيون يشترون الأفيون جزءاً من غذائهم اليومي أما الهنود فيتعاطون استعماله على شكل حبوب — خلافاً للأوربيين الذين يستعملونه حقناً تحت الجلد، وقليل منهم من يتعاطونه بشكل شراب.

وفعل الأفيون في الرأس كفعل الخمر، فيسمر المخدر في بادىء الأمر، كما قلنا، بالنشوة والسرور وحدة الذهن، وهذا ما يحمل بعض رجال الفن كالكتّاب والشعراء والموسيقيين على استعماله. غير أن الاعتياد عليه كما هو الحال غالباً يجعل الذاكرة أو المخيلة تنقلب من الحقيقة إلى الوهم والخيال، ولا سيما أن الجسم بطبيعته يتطلب الانتقال من الخفيف إلى الأشد ولا يلبث أن يقل تأثره بالخفيف فيطلب مقداراً أعظم ليتأثر به. وإذا زادت الكمية التي يتناولها من مقدار معين (٥ ميليغرام) تظهر عنده أعراض التسمم: كالدوار والذهول والنعاس وسرعة النبض والتنفس في بادىء الأمر. ثم يبطؤ هذا النبض ويغدو خافتاً، ومثله التنفس ويرافق هذه الحالة: شحوب اللون وارتباك العقل وانحطاط القوى العام. ويكافح هذا التسمم بالأفيون أو بمركباته كالمورفين والبودانوم الخ، باعطاء المصاب كمية كبيرة من القهوة الساخنة، ورش وجهه بالماء البارد، وتدليك صدره بقطعة مبلولة بالماء البارد أيضاً. ويمكن اعطاؤه منبّهاً من الطردل، أو جرعات كبيرة من الماء الساخن مضافاً إليه مقدار قليل جداً من برمنغنات البوتاسا بحيث يكون هذا الماء وردياً فاتح اللون، أو حقنه تحت جلده بإبرة مورفين وإذا غاب المصاب عن وعيه يجري له عملية التنفس الصناعي. وقد تحدث الوفاة عند شخص ما إذا حقن بمقدار ستجرام كما تأيد ذلك بالمشاهدات الكثيرة.

وبحسب طبيعة الشخص وعاداته والبيئة التي نشأ فيها، تكون تصوراته وخيالاته وأحلامه إما راقية أو هادئة. وبوجه عام يكون مدمن الأفيون والمورفين كالطفل في عقليته وأخلاقه وعاداته وأطواره. وأشد الناس تأثراً بفعل المادتين وغيرهما من المخدرات المعروفة أصحاب الأمزجة العصبية، والمصابون بسوء الهضم كما أثبته العلم الحديث.